

العلاقة الزوجية المتكدرّة وآثارها على الصحة النفسية للزوجين والأبناء

أ. نوبيات قدور

جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

ملخص:

يمثل الكدر الزوجي الصورة الواضحة للعلاقة المضطربة وسوء التوافق بين الزوجين، يترتب عليه عدم إشباع الحاجات الفيزيولوجية، والنفسية الأساسية، مما يدفع أحد الزوجين أو كلاهما للبحث عن الذات خارج حدود الآخر، وهو ما يمكن أن يوصلهما إلى الخيانة أو الطلاق.

ونعرض في هذا المقال مفهوم الكدر الزوجي ومظاهره، ومختلف العوامل المعرفية والانفعالية والسلوكية التي تحدده، وآثاره المدمرة على حياة الزوجين النفسية والصحية، وما ينعكس تباعا على صحة الأبناء ونموهم النفسي. وبهذا نضع أيدينا على داء استقلح لطالما تغاضى الباحثون والمهتمون بالشؤون الأسرية عن انتهاج السبل الكفيلة بإعادة الاستقرار لبيوت بدأت تتصدع.

Résumé :

La détresse conjugale représente l'image claire d'une relation perturbée et mal ajustée entre les mariés. Il en découle la non satisfaction des besoins physiologiques, et psychologiques fondamentales, qui entraîne l'un des conjoints ou les deux à la recherche de l'auto au-delà des limites de l'autre. Ce qui les amènerait à l'infidélité ou au divorce.

Nous proposons dans cet article le concept de la détresse conjugale, ses manifestations, et différents facteurs cognitifs, émotionnels, et comportementaux qui le déterminent. Aussi ses effets destructifs de la vie psychologique et la santé du couple, et tout ce qui se répercute sur la santé des enfants et leur développement psychologique. Pour cela, nous mettons notre main sur cette maladie qui s'est propagée pour longtemps par manque d'intéressement des chercheurs par les affaires familiales afin de trouver les moyens efficaces de re-stabilisation des familles qui ont commencé à se fissurer.

تمهيد:

يمثل الزواج أرقى آلية ضبط إنساني في التعامل مع الغريزة الجنسية وتأسيسها فالزواج علاقة بين رجل وامرأة معترف بها دينيا واجتماعيا في كافة المجتمعات البشرية التي منحته صفة القدسية، حتى وإن اختلف في شكله فإنه لا يختلف من حيث طبيعته وجوهره.

إن المعنى العريض للزواج أنه مؤسسة اجتماعية مهمة، لها نصوصها وأحكامها وقوانينها، وقيمها، التي تختلف من ثقافة إلى أخرى، والزواج هو علاقة جنسية تقع بين شخصين (رجل وامرأة) يشرعها ويبرر وجودها المجتمع، وتستمر لفترة من الزمن يستطيع خلالها الزوجان إنجاب الأطفال وتربيتهم تربية اجتماعية و أخلاقية ودينية يقرها المجتمع ويعترف بوجودها وأهميتها (إحسان الحسن،15،1985).

ويعتبر الزواج السعيد أهم مقومات رضا الفرد عن حياته، إلا أن الحياة الزوجية في معظم الأسر تختبر العديد من الأزمات، خاصة في المجتمعات المعاصرة التي تحاول التعايش مع سرعة التطور والتحديث، حيث يشير **مكتب الإحصاء الأمريكي** إلى أن نسبة الطلاق في الخمس سنوات الأولى من الزواج قد تصل إلى (40% - 50%) من الحالات. (B.A.R,1992).

أما في الجزائر فقد أكدت الإحصائيات الصادرة عن **وزارة العدل (2004)** أن معدلات الطلاق في تزايد مستمر فقد بلغ في سنة 1994 (24561 حالة طلاق)، ووصل في غضون ثمان سنوات أي سنة 2002 إلى (25628 حالة طلاق). ويمثل تحطيم العلاقة الزوجية خبرة صدمية لمعظم الأزواج كما تؤثر الصراعات الزوجية بشكل ما على الصحة العقلية والجسمية والأسرية لكلا الزوجين (Finchmam & Beach,1999).

وفي دراسة عربية أكد **محمد القرني (2007)** أن نسبة كبيرة من الأزواج المتكدرين يترددون على العيادات الطبية غير النفسية، ويشتكون من اضطرابات سيكوسوماتية (نفس جسمية) تعزى إلى الكدر الزوجي، وأن نحو (40%) من المراجعين في عيادة الصحة النفسية كان الكدر الزوجي جزءا من مشكلاتهم، بالإضافة إلى أن نحو (50%) من الأزواج الذين يبحثون عن علاج كان بسبب معاناتهم من الكدر في حياتهم الزوجية (محمد القرني، 2007، 6).

ومن هنا تتبدى أهمية هذا الموضوع في تحديده لماهية الكدر الزوجي، و العوامل المؤثرة فيه وآثاره على الحياة النفسية للزوجين والأبناء.

1- تعريف الكدر الزوجي (Marital distress):

يعرف كمال مرسي الكدر الزوجي بأنه تباين في أفكار ومشاعر واتجاهات الزوجين حول أمر من الأمور، ينتج عنه أرجاع غير مرغوب فيها، تظهر الخلاف وتوضحه، ثم تحوله إلى نفور وشقاق وزيادة في الخلاف، فيختل التفاعل الزوجي ويسوء التوافق، وتضعف العلاقة الزوجية (كمال مرسي، 1991، 43).

كما عرّف جاكبسون وكردوفا (Jacobson & Cordova, 1993) الكدر الزوجي بأنه: المعاناة التي تحدث بسبب العلاقات المضطربة كالتواصل السيئ، والجدال المدمر، والألم النفسي.

وقد عرفه فنشام ولوري (Fincham & Lori, 1995) بأنه عدم الرضا عن العلاقة الزوجية من أحد الطرفين أو كليهما، فتصبح الحياة الزوجية معاناة غير سعيدة في نظر أحد الزوجين أو كليهما (محمد القرني، 2007، 4).

أما تعريف الإصدار الرابع من الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية (DSM-IV, 1994) للكدر الزوجي أنه نمط من التفاعل يتميز بالاتصال السلبي أو المشوه أو عدم الاتصال على سبيل المثال الانسحاب، ويرتبط باضطراب اكلينيكي ملحوظ في الوظيفة النفسية للفرد أو العلاقة، أو بمعنى آخر تطور الأعراض في أحد الزوجين أو كليهما، وهذه الأعراض تأخذ دلالتها عندما تسيطر على الحياة الزوجية من الناحيتين: الأفكار الخاطئة، والحلول السلبية للمشكلات.

ويعرفه كورسيني (Corsini, 1994) بأنه مستوى محدد من عدم التوافق بين الزوجين يؤدي بهما إلى أن ينهيا العلاقة، ويشمل نقصا في التواصل وفي الفهم ويؤدي إلى الطلاق في معظم الأحوال.

أما صفاء مرسي (2008) فتعرفه على أنه تلك الصراعات الناشئة بين الزوجين، نتيجة لعدم التقارب في السمات الشخصية أو بسبب المشكلات الاقتصادية، أو الضغوط الخارجية التي تقع على أحد الزوجين أو كليهما، مما يترتب عليه عدم إشباع بعض الحاجات النفسية والفيزيولوجية التي تؤدي إلى اضطراب العلاقة الزوجية (صفاء مرسي، 2008، 43).

ويمكن أن نستخلص من التعاريف السابقة أن الكدر الزوجي هو اضطراب في العلاقة بين الزوجين، وسوء اتصال بينهما ينجم عنه صعوبات متعددة تقلل من قدرتهما على حل المشكلات، وتدليل الصعوبات المتعلقة بجميع جوانب العلاقة مثل (التعامل مع

الأبناء والتسيير المالي، ضبط العلاقات الاجتماعية، وتوفير المساندة الأسرية). كل هذا يخلق معاناة نفسية قد تؤدي في النهاية إلى الطلاق الصريح أو الطلاق النفسي.

2- مفاهيم ذات علاقة بالكدر الزوجي:

- عدم الاستقرار الزوجي:

عرف هادي مختار (1997) عدم الاستقرار الزوجي بأنه ميل الزوجين لإنهاء الزواج الحالي، على الرغم من أن إنهاء أو انحلال الزواج، قد لا يحدث في النهاية، بمعنى أنه تكون هناك رغبة في انحلال الزواج، ولكن يمكن أن يحدث كفعل أو إجراء من قبل الزوجين (هادي مختار، 1997، 210).

- اللاتوافق الزوجي:

يرى كمال مرسي (1991) أن اللاتوافق الزوجي عبارة عن حالة تظهر في اختلاف الزوجين وتنافرهما، وعدم اجتماع كلمتيهما في أمور الأسرة (كمال مرسي، 1991، 192).

في حين اعتبره بنون أيان (2000) عبارة عن تقديرات منخفضة للسلوك المتبادل، ومهارات حل المشكلات، وتقديرات مرتفعة للصراع والسلبية المتبادلة، كما يتسم أيضا بمهارات اتصال ضعيفة، وتقديرات منخفضة للأنشطة الترفيهية المشتركة (بنون أيان، 2000، 332).

ولذلك اعتبر كوردوفا و جاكبسون (2000) أنه يمكن قياس الكدر الزوجي من خلال مقاييس التوافق أو الرضا الزوجي.

أما دوركين (Durkin, 1995) فيرى أن اللاتوافق الزوجي هو ميل الزوجين إلى أن يتصرفا بطريقة مختلفة عن بعضهما بعضا أثناء التفاعل الأسري (Durkin, 1995, 121).

- الصراع الزوجي:

يأخذ الصراع الزوجي أشكالا متعددة مثل الصراع الظاهري، والصراع الخفي غير الظاهر والصراع المألوف العادي، والصراع المزمن الحاد، وهو يحدث عندما لا تحل الصعوبات الزوجية وتترك كل مشكلة دون حل. وقد تكون بعض أنواع الصراعات ملازمة للزواج، إلا أنه قد تختلف من دورة إلى أخرى من دورات الحياة الأسرية، وتكون على درجات متغيرة من النضج العاطفي والنضج الأسري (وفاء خليل، 1991، 46).

كما ذكرت بالميهوب كلثوم (2010) مفاهيم أخرى مقارنة كالانحلال الزواجي والتفكك الزواجي فالانحلال الزواجي يقصد به العمل القانوني لإنهاء الزواج عن طريق الطلاق، أو الانفصال النهائي. من جانب آخر هناك التفكك الزواجي، ويقصد به التفكك الطوعي للزواج، من خلال الوفاة أو التخلي عن الطرف الآخر (بالميهوب كلثوم، 2010،7).

- الشقاء في الزواج:

يقصد بالشقاء في الزواج مشاعر و أفكار سيئة تجعل الزوجين -أو أحدهما- متوترين قلقين تعيسين ومتبرمين في تفاعلهم الزواجي السلبي، وفي تنافرهما أو عدم توافقهما معا، أو توافقهما توافقا سيئا.

فالشقاء في الحياة الزوجية -كالسعادة الزوجية- مشاعر و أفكار نسبية تختلف من زوج إلى آخر، فما يشقى أحد الزوجين لا يشقى الآخر، وما يشقى الزوجين معا لا يشقى غيرهما من المتزوجين. والشقاء في الحياة الزوجية غير مرادف لتقصير أحد الزوجين في واجباته، أو عدم حصوله على بعض حقوقه الزوجية. فقد يستمر الزواج مع حرمان أحد الزوجين من بعض حقوقه، إذا صبر هو على ذلك، فليس الحرمان في الحياة الزوجية شقاء، ولكن كل شقاء في الحياة الزوجية ناتج عن الحرمان والنفور أو عدم التوافق الزواجي والتفاعل السلبي بين الزوجين (صالح الداھري، 2008،86).

وتعتبر المفاهيم سابقة الذكر من أبرز المفاهيم القريبة، وأحيانا متداخلة مع مفهوم الكدر الزواجي الذي يشكل صورة المعاناة في العلاقة الزوجية المختلفة، والذي قد يؤدي بها إلى التفكك والانفصال التام في حين تبقى العلاقة بين الأزواج في الأنواع الأخرى التي سبق ذكرها قابلة للمواصلة، وعليه فقد أكد كوردوفا وجاكبسون (2002) أن بعض الأزواج الأكثر كدرا يحتاجون إلى تدخل فوري لمنع أو تخفيف مثلا إساءة معاملة الشريك الآخر وإساءة معاملة الطفل، ومحاولات الانتحار، والأمراض الذهانية. وهو الأمر الذي يستدعي أهمية تناول هذا الموضوع بالدراسة والتمحيص.

3- مظاهر الكدر الزواجي:

كثيرا ما تتعرض الحياة بين الزوجين إلى أزمات ومشكلات تقوض سعادة الزوجين فتختفي العاطفة والمودة، وتحل محلها مشاعر الغضب والاستياء، وتبادل الاتهامات، مما يجعل التفاعل بينهما يخلل فيفشلان في تحقيق كل أهداف الزواج أو بعضها.

ويقصد بالأزمة بين الزوجين ظهور عائق يمنعهما أو يمنع أحدهما من إشباع حاجاته الأساسية، أو تحقيق أهداف ضرورية، أو تحصيل حقوق شرعية، فيشعر بالحرمان والإحباط ويدرك التهديد وعدم الأمن في علاقته الزوجية. ويسمى ظهور العائق في الحياة الزوجية الحادث الضاغط، أما ما ينتج عنه من مشاعر توتر وقلق وضغط وتهديم وظلم وحرمان وألم، فيسمى إدراك الأزمة والانفعال بها (صالح الداھري، 2008، 87).

وقد حدد محمد غيث (1991) الأزمة الزوجية في عدة مظاهر (وفاء خليل 1991، 24) كمايلي:

- اختفاء الأهداف المشتركة بين الزوجين وكذلك الاهتمامات المتبادلة، وتصبح النزعات والأهداف الفردية أكثر أهمية من الأهداف الأسرية.
 - يبدأ الزوج والزوجة في عمليات انسحابية متعددة، وخاصة في مجال الخدمات المتبادلة سواء داخل الوحدة الأسرية أو خارجها.
 - يظهر التناقض في مجالات العلاقات الشخصية المتبادلة، أو بمعنى آخر لا يكون هناك اتساق في الرغبات و تزداد فرص الاصطدام.
 - يتغير شكل وموضوع التفاعل بين الزوجين.
 - تتعارض الاتجاهات العاطفية للزوجين فتتخذ العلاقات الزوجية طابعا سطحيا.
 - وفي سياق أكثر تركيزا على المظاهر المعرفية لاضطراب العلاقة الزوجية يرى بيك (Beck, 1989) أن الكدر الزوجي يتضح في عدد من المظاهر أهمها:
 - تحول التصورات الإيجابية الجيدة عن شريك الحياة إلى تصورات أخرى سيئة.
 - نظرة كل شريك إلى الحدث نفسه بطريقة مختلفة تماما.
 - حدوث التوقعات الجامدة للأدوار مما يؤدي إلى الإحباط والغضب والفشل في التواصل والتحيزات الشخصية، والعداوة التي تبعد الزوجين عن بعضهما بعضا.
- (Beck, 1989, 9)

وقد أكد كل من كوردوفا و جاكبسون (2000) أن المعاناة العميقة للزوجين تحدث بسبب العلاقات المتكدرة، حيث أن التواصل السيئ والجدال المدمر عادة ما يؤدي بشخصين يحبان بعضهما البعض بشدة إلى أن يسبب كل منهما الألم والمعاناة للآخر أكثر من الحب والمتعة، وبالإضافة إلى الألم النفسي الشديد هناك العديد من الأدلة تشير إلى أن الأفراد الذين لديهم علاقات متكدرة يصبحون أكثر حساسية للتعرض لكثير من الاضطرابات النفسية والجسمية (جيمس كوردوفا ونيل جاكبسون، 2000، 1146).

ويظهر على الزوجين أثناء معاناتهما من مثل هذه المشكلات الزوجية، سلوكيات مضطربة في معظم المواقف الاجتماعية التي يمران بها، سواء أكان ذلك في مكان العمل أو في نطاق الجيرة السكنية أو في محيط الأقارب، أو عند مزاوله أي نشاط عادي في حياتهما اليومية (ماهر عامر، 1988، 458).

وبسبب عدم مقدرة الزوجين على التواصل وإدارة الصراع فإنهما يستعملان العنف تعبيراً عن مشاعر الغضب الناتجة عن الغيرة أو الشك (Gilliland & James, 1997).

كما يؤدي عدم الرضا عن العلاقة الزوجية إلى خلق مشاعر سلبية قد تزيد من الخلافات وحدة الصراعات بين الزوجين (Retzinger, 1991). ومع الافتقار لمهارات التواصل قد يلجأ أحد الزوجين أو كلاهما إلى استخدام استراتيجيات عنف غير ملائمة كوسيلة لحل تلك الصراعات، مما يزيد من تلك الضغوط. وذكر لو (Loue, 2001) دراسة بابكوك وزملائه (Babcock & al, 1993) لعينة من الأزواج بلغت (95) زوجاً وزوجة ذكر الأزواج أنهم يستخدمون العنف ضد زوجاتهم كسلوك تعويضي عن الإحساس بضعف الزواج بشكل عام وكننتيجة لعدم الرضا عن العلاقة الزوجية.

ومما سبق تتبدى مظاهر الكدر في صور التواصل غير الفعال، والفشل في إدارة الصعوبات والتحديات، بالإضافة إلى مشاعر الألم والمعاناة وصولاً إلى العنف الزوجي اللفظي أو الجسدي، الذي يمثل الصورة الأسوأ في العلاقة الزوجية، والتي قد تحسم الصراع لصالح الانفصال.

4- العوامل المحددة للكدر الزوجي:

لقد حدد التراث الإمبريقي والنظري عدداً من المتغيرات والعوامل التي لها أهمية في فهم الكدر الزوجي، وتقييم العلاقة بين الأزواج، وذلك تبعاً للمنحى السلوكي-المعرفي، وهي كما يلي:

4-1-العوامل المعرفية:

حدد بايكوم (Baucoum, 1989) خمسة أنواع من المتغيرات المعرفية في الكرب والصراع الزوجي وهي:
أ- الانتباه الانتقائي و الذي يتحدد بملاحظة كل فرد بعض جوانب الأحداث التي تحدث في التفاعلات الزوجية، ولكنه يتغاضى عن الجوانب الأخرى.

ب- أساليب العزو أو الاستدلالات التي يقوم بها كل شخص عن أسباب الأحداث الإيجابية السلبية في علاقته بالآخرين.

ج- التوقعات أو التنبؤات عن احتمال حدوث أحداث معينة في العلاقة في المستقبل.

د- الافتراضات وتشمل المعتقدات عن خصائص العلاقات، سواء بشكل عام، أو لكل فرد على حدة، وكيف تعمل.

هـ- المعايير أو المعتقدات التي لدى كل فرد عن خصائص تلك العلاقات، سواء بشكل عام أو لكل فرد على حدة.

وقد أشارت البحوث حول المعارف الزوجية إلى أن الأزواج المتكدرين يميلون إلى عزو المشكلات في العلاقة إلى خصائص ثابتة عامة للشريك الآخر، وتشمل سمات الشخصية السلبية، والنوايا السلبية، ونقص الحب (نورمان ايبستين، 2006، 353).

لقد اهتم المنحى المعرفي بشكل خاص باستخلاص الادراكات والمعاني التي يفسر بها الأزواج علاقتهم الزوجية، والتي تعم كوسائط للاستجابات الانفعالية والسلوكية، حيث يستخدم الأزواج المتكدرين دون سواهم استنباطات عشوائية وتشويهاً معرفية.

وقد أكد برلي وجاكوبسون (Berly & Jacobson, 1984) أن الدلائل البحثية توحى أن الاختلالات المعرفية وتشوهات الاستدعاء والتقييم لسلوك الزوج الآخر تسهم في الكدر الزوجي.

وكانت أنواع المتغيرات المعرفية التي حظيت بالاهتمام هي المعتقدات حول معايير العلاقات والاعزاء الزوجي لأسباب الصراع، المسؤولية، النية والدوافع خلف السلوك. فإذا كان من المؤكد أن هذه النماذج النظرية صحيحة فسيكون من المعقول توقع أن وجود دلائل على معتقدات ومعايير غير واقعية سيؤدي إلى كدر زوجي، وأن الإعزاء السلبي سيؤدي إلى تفاقم مشاعر اليأس والغضب، وعدم الثقة في العلاقات الحميمة.

وقد أظهرت البحوث التي تفحص الفروق المختلفة بين الأزواج المتكدرين والأزواج غير المتكدرين احتمالاً أكبر لأن يعزو الأزواج المتكدرين السلوك البغيض لشريكهم لوجود نوايا سلبية لديه، وأن يعزو سلوكهم الإيجابي إلى أسباب غير متسقة وغير مقصودة، ويظهر هذا الإعزاء المتحيز إحساساً بفقدان الأمل واليأس من تحسن العلاقة، ويمثل عقبة في تطوير مناخ استكشاف إمكانات التغيير (ليندزاي، بول، 2000، 318).

4-2-العوامل الانفعالية:

يرى جولمان 2000 أن التعاطف بين الزوجين هو مقدار تفهم الزوج أو الزوجة لمشاعر الطرف الآخر، وتقديره له واستيعابه (دانيل جولمان، 2004، 2000).
كما أن قطع الحوار بين الأزواج وزوجاتهم، وعجز الأزواج بصفة خاصة عن التعبير عن عواطفهم تجاه زوجاتهم، تعد من مقدمات الانهيار الزواجي (طريف شوقي، محمد عبدالله، 1999، 9).

ويعتبر تعاطف الزوجين هدفا أساسيا من أهداف الزواج، فبدون هذا التعاطف يتحول التفاعل الزواجي إلى الكيد والشقاق والصراع، وتفقد الحياة الزوجية أهم أهدافها، ويعيش الزوجان معا بجسميهما متباعدين بروحيهما، وقد تتقلب حياتهما جحيما بسبب نفورهما العاطفي، والتأثير متبادل بين الحب والتعاطف، فتعاطف الزوجين ينمي الحب بينهما، والحب ينمي التعاطف بينهما (صفاء إسماعيل، 143، 2008).

وقد أجرى ليفنسون وجوتمان (Levenson & Gottman, 1995) دراسة تتبعية على مدى ثلاث سنوات حول المدى الذي يمكن أن تتنبأ به العوامل الفسيولوجية والعاطفية بالتغير في الرضا الزواجي وقد استخدمت المقاييس الفسيولوجية، لأنها اعتبرت مستقلة عن أكثر محكات نتائج الرضا الزواجي الاجتماعية، وكانت المقاييس الفسيولوجية والعاطفية منبئة بالرضا الحالي، ووجد أنها تتنبأ بالرضا عن العلاقة على مدى ثلاث سنوات تالية، وقد أشارت النتائج إلى أن مقدار العاطفة الإيجابية والسلبية وبعض الأنماط المعينة من العواطف السلبية المتبادلة كانت منبئة بمستويات من التغير في الرضا بالعلاقة واقتربت الزيادة بالرضا الزواجي بدرجة أقل سلبية من التبادلية (ليندزاي، ل. بول، ج. 320، 2000).

4-3-العوامل السلوكية:

يعبر السلوك الزواجي عن التفاعلات الصريحة التي تحدث بين الزوجين حول موضوعات الحياة المختلفة، ومدى المهارة في حل المشكلات، ومهارة التواصل والمشاركة الفعلية في أداء أنشطة ترفيهية مشتركة.
إذا فإن المكون السلوكي يتضمن كمية وكيفية التواصل بين الزوجين في العلاقة التي تربطهما، وقد وجد جوتمان (Gottman, 1993) أن الأزواج الذين يظهرون تكرارات مرتفعة من الشكوى - الانتقاد، الدفاعية، والازدراء، وإقامة الحوار هم الأكثر احتمالا لأن يفصلوا أو يحدث بينهم الطلاق.

كذلك وجد ريفنستورف و آخرون (Revenstorf & al, 1984) أن الزوجين المتوترين أكثر استعدادا من الأزواج غير المتوترين للانهماك في (تصعيد المشكلة)، حيث أن ذكر أحد الزوجين للمشكلة يعقبه التعبير السلبي للزوج الآخر (مثل اللوم)، والذي يعقبه أيضا التعبير السلبي للزوج الأول، (مثل: لوم الآخر بدوره). كذلك فإن الأزواج غير المتوترين في علاقتهم قادرون على إيقاف هذا السباق (التبادل السلبي) بشكل أسرع من الأزواج متوتري العلاقة (نورمان إبيستين، 2006، 351).

وقد اعتبر المنحى السلوكي . المعرفي أن الأزواج المتكدرين أقل قدرة على صياغة أوصاف مناسبة لأفكارهم وانفعالاتهم، مع ضعف مهارات الاستماع والتعبير، وضعف مهارة حل المشكلات.

وبالرجوع إلى وصف العوامل الثلاثة المحددة للكدر الزوجي يمكن تصميم وبناء مقاييس لقياس الكدر الزوجي ، حيث تشكل هذه العوامل أبعادا أساسية محددة لمفهوم الكدر الزوجي.

5-آثار الكدر الزوجي:

إن الزواج السليم يقوم على الحب والتفاعل الإيجابي المرن، والقدرة على تجاوز الصعاب والمثابرة لتحقيق الأهداف، ولكن ماذا يحدث إذا تكدرت هذه العلاقة؟ إنه من الصعب حصر وتحديد الآثار الناجمة عن تكدر العلاقة الزوجية سواء على مستوى الأزواج أنفسهم أو على مستوى الأبناء، فللكدر الزوجي انعكاسات ونتائج متشابهة ومتفاعلة مع بعضها البعض مما يجعله مشكلة أسرية ونفسية لها تبعات خطيرة على المدى البعيد.

حيث يرى كوين و أوديل (Quinn & Odell,1998) أن المشكلات الزوجية تحدث بين العديد من الأزواج والزوجات خلال السنتين الأولى والثانية، حيث تنتهي (21%) من الزيجات خلالها، أما (40%) من حالات الطلاق فتحدث بحلول السنة الرابعة من الزواج (جورجيت فام، 2008، 47).

وعليه فإن لم تنته العلاقات الزوجية المتكدر بالطلاق فإنها تترك آثارا عميقة قد لا تتمحي على مستوى الحياة النفسية للأزواج و الأبناء على حد سواء.

5-1- آثار الكدر الزوجي على الزوجين:

يؤكد كل من فنشام و بيش (Fincham & Beach,1999) على أن الصراعات الزوجية تؤثر بشكل ما على الصحة العقلية والجسمية و الأسرية لكلا الزوجين (Fincham & Beach,1999,48).

إذ تضعف الصحة الجسمية في الزواج المضطرب، لأن الأزواج غير السعداء أكثر عرضة لتناول الكحول والتدخين، للهروب من المشكلات الزوجية، مما يؤثر على صحتهم الجسمية، فالزواج السعيد يوفر للأزواج القوة لمواجهة ضغوط الحياة، وينقص من آثارها السيئة على الصحة الجسمية (6, Halford & Howard,1997).

وقد تبين أن عدم الرضا عن العلاقة الزوجية هي أحد أهم العوامل التي تسهم في ظهور الاضطراب النفسي على شكل أعراض وشكاوى بدنية وهو ما يطلق عليه بالتبدين (التجسيد)، ويرى جوتمان وكروكوف (Gottman & Krokoff,1998) في القرني (2007) أن الكدر يجعل الزوجين عرضة للاحباط و الانسحاب، وضعف الكفاءة الاجتماعية، والمشكلات الصحية والعاطفية والسلوكية كما أنهم يعانون من ضعف شديد في مهارات التواصل اللفظية وغير اللفظية، وحل المشكلات، والتعبير عن الذات، والتبادل السلبي، ونمو مشاعر الغضب، وتحطيم العلاقة الزوجية (محمد القرني،5،2007).

كما تبين من دراسة كل من حسن عبد المعطي وراوية دسوقي على عينة من (13) زوجا و (12) زوجة، ممن يعانون من الاختلالات الزوجية، أنه في حالات الخلافات الزوجية يتعرض الزوجان لعدد من المشكلات، مثل التوتر والشعور بالكآبة، وعدم الاستقرار، و الشعور بالنقص المصاحب لعدم تقدير الذات، كما ينشأ الطلاق العاطفي أو النفسي (حسن عبد المعطي، راوية دسوقي،6،1993).

وكثيرا ما تؤدي الصراعات الزوجية إلى ارتكاب العنف بين الأزواج ، حيث ذكرت ما ري (1983) في دراستها عن العلاقات الزوجية المتوترة بأنه لا يوجد ما يسمى بعلاقات زوجية غير متوترة. لأن التوتر والمعاناة أو الصراع وارد في كل العلاقات الزوجية كما وكيفاً أي بنوعيات مختلفة و درجات متفاوتة، إلا أن الاختلاف يكون في طريقة التعامل مع تلك التوترات .و أنه وفق نظرية البناء الاجتماعي (Social Structure Theory) فإن العنف يعد أحد الاستجابات للضغوط والإحباطات الناتجة عن الصراعات (إخلاق القتال،2002،56).

فقد أكد جيلاند وجايمس (Gilliland & James, 1997) أن فشل النظام الاجتماعي في تقديم المصادر الكافية لهؤلاء الأزواج للمحافظة على أدوارهم تصعيد حدة هذه الصراعات مفجرة ثورات من الغضب الشديد قد يصل في ذروته إلى استخدام العنف الجسدي كمحاولة للبقاء على النظام متوازناً (رفيف حسن 2006، 6).

ويرى شيك (Sheck, 1995) أن العلاقات الزوجية تؤثر في التوافق الزوجي كما تؤثر في الحالة الصحية للزوجين، فمن خلال دراسته على (1501) من الأزواج والزوجات تراوحت أعمارهم بين (30-60) سنة تم تقسيمهم إلى متوافقين وغير متوافقين زوجياً، توصل شيك إلى أن الكدر الزوجي يرتبط بسوء الحالة الصحية للزوجين. وعليه فإن غياب الإرادة المشتركة بين الزوجين للحفاظ على استقرار حياتهما الزوجية وغياب المودة يجعلهما أقل كفاءة لمواجهة مشكلاتهما فيلجآن لاستخدام استراتيجيات أقل توافقاً، وهو ما يعرضهما لاضطرابات نفسية وصحية، تتفاوت خطورتها بمرور الزمن وتفاقم الصعوبات.

5-2- آثار الكدر الزوجي على الأبناء:

لقد كشفت البحوث والدراسات أن الأطفال الذين يبدون اضطراباً في نمو شخصياتهم وأنماط سلوكهم هم في العادة نتاج مناخ أسري وتربوية غير سليمة، فالاضطرابات النفسية في الطفولة تعبر عن عجز الأسرة في القيام بدورها مع الطفل، وفي هذا النسق الأسري يكون الطفل مرآة للوالدين، وللبناء الأسري والمناخ السائد فيها، فالفاعل بين كل عضو من أعضاء الأسرة يخلق نظاماً دينامياً داخل جماعة الأسرة، بحيث أن أي اضطراب نفسي لدى أي عضو من الأعضاء في الأسرة ينعكس سلباً على نسق الأسرة، وقد يظهر هذا الاضطراب على أفراد آخرين في الأسرة (حسين عبد العظيم، 2004، 35).

وقد تبين أن الأطفال في الأسر المضطربة زوجياً يعانون من ظروف اجتماعية ونفسية وتربوية صعبة، تعرضهم للإحباط والحرمان والصراع، وتعوق نموهم الجسمي والنفسي وتعرقل نضجهم الاجتماعي والانفعالي، وتجعلهم مهينين للأمراض النفس-جسمية والانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية.

ففي دراسة لجراش وفنشام (Jrych & Fincham, 1993) بعنوان " العلاقة بين النزاع الأسري وتوافق الأبناء" هدفت إلى التعرف على علاقة النزاع الأسري بتوافق الأبناء، وتكونت عينة الدراسة من (336) طفلاً وجميعهم بالصف الرابع والخامس

بمتوسط عمري (10,9) سنة، واستخدم في هذه الدراسة مقياس إدراك الأبناء للنزاع الأسري (إلمري وأولري 1982)، ومقياس التوافق الزوجي وقائمة مشكلات الأطفال السلوكية من وجهة نظر الآباء والمدرسين، تأكد وجود علاقة ارتباطية بين النزاع الأسري والاضطرابات السلوكية والانفعالية لدى الأطفال، والتي تتمثل في العدوان والقلق، كما كان الذكور أكثر عدواناً وقلقا من الإناث عند تعرضهم للنزاع الأسري (بلفيس علي، 2003، 134).

أما دراسة محمد بيومي (2000) بعنوان "تأثير المناخ الأسري على الصحة النفسية للأبناء" حيث هدفت الدراسة إلى التعرف على تأثير المناخ الأسري على صحة الأبناء النفسية وطبقت الدراسة في المجتمع المصري وذلك على عينة مكونة من (200) مراهق ومراقبة منهم (120 مراهقا و 80 مراهقة)، واستخدم الباحث مقياس المناخ الأسري ومقياس الصحة النفسية للكبار، وهما من إعداد الباحث. وكان من أهم النتائج ارتباط الصحة النفسية إيجابيا بالمناخ الأسري بأبعاده الستة التي تضمنها المقياس وهي: (الأمان الأسري والتضحية والتعاون الأسري، ووضوح الأدوار وتحديد المسؤوليات الأسرية، والضبط ونظام الحياة الأسرية، وإشباع حاجات أفراد الأسرة، والحياة الزوجية للأسرة).

كما بين وجود علاقة موجبة بين المناخ الأسري العام والصحة النفسية ببعديها (السلامة النفسية والتفاعل الإيجابي مع الحياة).

كما تبين في العديد من الدراسات أن العلاقات الأسرية المتكدره والتي يسودها العنف وأنواع الإساءة اللفظية والجسدية لها نتائج وخيمة على الأبناء عبر مراحل نموهم في الطفولة والمراهقة والرشد، حيث أجرى ماكنيل وأماتو (1998) و McNeal & Amato) دراسة طولية اعتمدوا فيها الوالدين العنيفين فيما بينهما، وأبنائهم كمصدر للبيانات، وبلغت عينة الأبناء (420) فردا تراوحت أعمارهم عند بدء الدراسة عام (1980) بين 7 و 19 سنة وكان من أحد أهم نتائج الدراسة أنها قدمت دليلاً قوياً على أن العنف ينتقل من جيل لآخر داخل الأسرة الواحدة. كما أن الآثار السلبية لمشاهدة العنف بين الآباء تستمر حتى بلوغ مرحلة الرشد.

كما أظهرت دراسة طولية تتبعية أخرى أجراها ارينسافت وآخرون (Ehrensaft & al, 2004) على عينة تكونت من (543) طفلاً تم اختيارهم بشكل عشوائي في عام (1975) واستمرت الدراسة حتى بلغ الأطفال مرحلة الرشد، حيث تبين

أن مشاهدة العنف بين الوالدين يعد من عوامل الخطورة المسببة في ممارسة هؤلاء الشباب للعنف في علاقاتهم الحميمة.

خاتمة وتوصيات:

وفي الأخير يمكن القول أنه مثلما الإنسان عرضة للأمراض والانحرافات في جميع مراحل حياته، وفي حاجة إلى جهود في تنميته ووقايته من هذه الأمراض والانحرافات، وعلاجه إذا مرض أو انحرف. فكذلك الزواج عرضة للخلافات الزوجية في جميع مراحلها، وفي حاجة إلى جهود كبيرة من الزوجين للمحافظة عليه وتقويته وحمايته من الخلافات التي تهدمه، أو تمنعه من تحقيق أهدافه النفسية والاجتماعية والروحية. وفي حاجة أيضا إلى جهود من الزوجين والأهل والمجتمع لعلاج الخلافات الزوجية في الوقت المناسب قبل أن تفسد التفاعل الزوجي أو تؤدي إلى الانفصال والطلاق (توما الخوري، 10، 1988).

فالعلاقة الزوجية تبدأ وتكبر وتنضج وتشبخ وتموت، وعليه لا بد من استيعاب هذه الدورة الطبيعية، والاحاطة بمقتضياتها، وبالتالي التدخل المناسب لتقويمها وحل مشكلاتها حتى تستمر سليمة ناضجة لمدة طويلة.

ومنه تظهر ضرورة مساندة الأزواج في تحقيق أهدافهم الزوجية من قبل الأهل والأقارب والأصدقاء، مع إيجاد خدمات متخصصة في رعاية الأسرة والعلاج الزوجي لتخفيف حدة المشكلات التي قد تعترض استمرارية وتطور الحياة الأسرية، وتدعم سعادة وتوافق الأزواج، ومنه ضمان السلامة النفسية للأبناء جيلا بعد جيل.

المراجع:

- 1- إخلاص الفتال(2002): العنف ضد المرأة لدى سيدات متزوجات من مدينة دمشق: مفاهيم وأثار صحية . رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، سوريا.
- 2- بلقيس علي (2003): التوافق الزوجي وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية والصحة النفسية للأبناء رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء.
- 3- جيمس كوردوفا ونيل جاكسون(2002): الكدر الزوجي، ترجمة هدى جعفر في ديفيد بارلو وآخرون ترجمة صفوت فرج: مرجع إكلينيكي في الاضطرابات النفسية، مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة.
- 4- إحسان الحسن(1985): العائلة والقربة والزواج، دراسة تحليلية في تغير النظم والعائلة والقربة والزواج في المجتمع العربي، ط2، بيروت.

- 5- بالميهوب كلثوم (2010): الاستقرار الزوجي دراسة في سيكولوجية الزواج، ط1، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، المنصورة.
- 6- بنون أيمان (2000): فحص الصراع الزوجي، ترجمة صفوت فرج. في ستان ل. ليندساي، ج.ي. بول مرجع في علم النفس الإكلينيكي للراشدين، الأنجلو مصرية، القاهرة.
- 7- توما الخوري (1988): سيكولوجية الأسرة، دار الجبل، بيروت.
- 8- جورجيت فام (2008): بعض فنيات الإرشاد العقلاني الإنفعالي في تحسين سوء التوافق الزوجي لدى عينة من المعلمات، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة.
- 9- حسن عبد المعطي، رابية دسوقي (1992): التوافق الزوجي وعلاقته بتقدير الذات والقلق والاكتئاب مجلة علم النفس، عدد 28، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- 10- حسين عبد العظيم (2004): الإرشاد النفسي، النظرية التطبيقية للتكنولوجيا، ط1، دار الفكر، عمان.
- 11- دانيال جولمان (2000): الذكاء العاطفي، ترجمة ليلي الجبالي، سلسلة عالم المعرفة، ع262 الكويت
- 12- صالح الداهري (2008): الإرشاد الزوجي والأسري، دار صفاء، عمان.
- 13- صفاء مرسي (2008): الاختلالات الزوجية، ط1، دار إتراك، مصر الجديدة.
- 14- طريف شوقي، محمد عبد الله (1999): تؤكد الذات والتوافق الزوجي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ع67.
- 15- كمال مرسي (1991): العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، دار القلم، الكويت.
- 16- ليندزاي، س. بول. ج (2000): مرجع في علم النفس الإكلينيكي للراشدين، ترجمة صفوت فرج الأنجلو مصرية، القاهرة.
- 17- ماهر عمر (1988): سيكولوجية العلاقات الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
- 18- محمد القرني (2007): تصميم برنامج علاجي معرفي سلوكي لتخفيف مستوى الكدر الزوجي وقياس فاعليته، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.
- 19- محمد بيومي (2000): سيكولوجية العلاقة الأسرية، دار قباء، القاهرة.
- 20- نورمان ايبستين (2006): الصراع الزوجي، في روبرت ليهي (محرر) دليل تفصيلي لممارسة العلاج النفسي المعرفي في الاضطرابات النفسية، ترجمة جمعة يوسف ومحمد الصبوة مكتبة إيتراك للطباعة والنشر، مصر الجديدة.
- 21- هادي مختار (1997): عمل المرأة و أثره على عدم الاستقرار الأسري، مجلة العلوم الاجتماعية م25، ع2، الكويت.
- 22- وزارة العدل الجزائرية

23- وفاء خليل (1991): الرضا الزوجي من حيث علاقته بالبناء النفسي للزوجين لدى عينة من طلبة الدراسات العليا بالجامعة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس جامعة عين شمس، القاهرة.

- 24- American psychiatric Association (1994): Manuel diagnostique et statistique des troubles mentaux, Traduction J.D Guelfi et coll, Masson , Paris.
- 25- Beck A(1989): Love is never enough, How couples can overcome misunderstandings, Resolve conflicts, and solve relationship problems, through cognitive therapy, perennial library , Harper & Row publishers ,New York.
- 26- Bureau Américain du Recensement (1992): Mariage, Divorce et le Remariage dans les années 1990 (Population Reports actuelle, 23-180.
- 27- Corsini, R.(1994) Encyclopedia of psychology, second ed, A wiley-interscience publication. New York: John wiley & sons. V1, 30-43
- 28- Durkin, K.(1995): Developmental social psychology. Cambridge, Black well publishers.
- 29- Ehrensaft, M. K., Cohen, P. Brown, J. Smailes, E. Chen, H. and Johnson, J.G.(2004). Intergenerational transmission of partner violence: A 20-Year prospective study, Journal of Consulting and Clinical Psychology. (71)4.
- 30- Fincham, F., Beach, S.(1999): Conflict in marriage, implication for working with couples, Annual Review of psychology, v50, 47-77.
- 31- Jacobson, S., Cordova, J.(1993): couple distress, In Clinical Handbook of psychological disorders, A step-by-step treatment manual 2nd ed, Barlow D The Guilford press, New York.
- 32- Halford K & Howard M (1997): Clinical hand book of marriage and couples intervention, Libraray of congress USA.
- 33- Loue S (2001): Intimate Partner Violence: Societal, Medical, Legal, and Individual Responses, Kluwer Academic Plenum Publishers New York.
- 34- McNeal, C., Amato, P. R. (1998). Parent's marital violence: Long-term onsequences for children. Journal of Family Issues, 19, 123-140.
- 35- Retzinger, S. M. (1991). Violent Emotions: Shame and Rage in Marital arreals: SAGE Publications, Inc.
- 36- Shek DT (1995): Marital Quality and psychological well-being of married adults in a chinese context, Journal of social psychology, V130(5), 633-641.